الخاتمة والنتائج والمقترحات

باستعراض سنن قيام الحضارات وسقوطها (ابن خلدون نموذجًا)، والتي تضمنت عرضًا لأهم الحضارات القديمة والحديثة لتحديد الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية لقيام الحضارات وسقوطها، ومقارنتها مع سقوط وقيام الحضارات عند ابن خلدون يتضح ما يأتي:

النتائج السياسية

- للعصبية دور فاعل في السيطرة وإقامة الدولة والحضارة، فبمقدار تماسك العصبة ووحدة أهدافها تنتشر الحضارة وتستمر في إطار تحقيق المصالح العامة، وعدم وجود حواجز بين الحاكم والرعية وإلمامه بكل ما يقع في الدولة من أحداث، وسيطرته الكاملة نتيجة قلة القبائل والعصبيات التي تقطن الدولة، ما يمنح الأسرة الحاكمة قدرة أكبر على الحكم والسيطرة والتحكم.
- إن فساد العصبية نتيجة الصراع على المصالح الخاصة ودخولها في سباق الجاه المقيد للمال من أولى خطوات انهيار الحضارة والدولة.
- أسهم إبعاد العباسيين للعرب عن المراكز القيادية وتكليف الأتراك السلجوقيين بها في ضعف العصبيات، وزيادة التشدد والتعصب ضد المسيحيين وأصحاب الديانات الأخرى، ما مهد للحروب الصليبية التي كان لها دور في انهيار الحضارة الإسلامية.
- أسهم اتباع العباسيين سياسات البطش والعنف مع العامة ومع معارضيهم واضطهادهم في سقوط الحضارة الإسلامية ونهاية الدولة العباسية، لأن اللجوء إلى القوة لا يضمن تحقيق المصالح ولا يقي من ردود الأفعال الانتقامية، بل يكرس الدعوات الانفصالية، ويجلب فجوة بين الحاكم والرعية.

- استغل البربر في شمال إفريقية عصبياتهم في الخروج -مرارًا وتكرارًا- عن الخلافة الإسلامية، وسببوا متاعب شديدة كانت إحدى أسباب إضعاف الحضارة الإسلامية وسقوطها.
- ترتب على الابتعاد عن شرع الله والحكم بالهوى صراع دموي وانقسامات بين الشعوب في الحضارة الإسلامية، كانت البداية الحقيقية لانهيارها نتيجة التنازع والاختلاف والرغبة في الحصول على السلطة والإقبال على الدنيا وزينتها.
- يعد الانقسام والتفكك من أهم خطوات انهيار الدولة والحضارة بسبب الضعف الذي يحل بها، وطمع الدول المجاورة لها في ثرواتها، ويزداد الأثر السلبي عند كثرة القبائل والعصبيات؛ حيث تسعى كل منها للحصول على السلطة والملك.
- يحتاج بعث الحضارة الإسلامية من جديد إلى تحقيق الوحدة الإسلامية تدريجيًّا لضمان تحقيق التكامل الجزئي، ثم الانتقال لمرحلة التكامل الشامل الذي يهيئ المناخ الملائم للوحدة الشاملة، التي تكفل منح الدول الإسلامية العمق الإستراتيجي الكفيل بتحقيق أمنها وبعث حضارتها.

النتائج الاقتصادية

- أسهم تسخير العامة للقيام بالأعمال والمهام الخاصة بالحكام وأعوانهم في تحقيق التنمية الحقيقية حين كانت لصالح المجموعة.
- أسهم الركون للدعة والراحة (ما يعرف عند ابن خلدون باسم الحضارة المفسدة للعمران) في سقوط حضارات وقيام حضارات أخري على أنقاضها.
- ترتب على تنوع المناخ والتضاريس والتربة تنوع الإنتاج الزراعي اللازم لقيام الحضارة.
- قامت الحضارة الغربية (الأوروبية والأمريكية) على النزعة المادية البحتة التي جعلت من المال سيدًا للجميع، وتضمنت الثورة الصناعية انتهاكات

بحق العاملين، حيث شغل الأطفال وصغار السن والنساء، ولم تتوقف هذه الممارسات إلا بعد ازدياد قوة حركة النقابات العمالية في بداية القرن العشرين.

- أدى البذخ في إنفاق العباسيين على القصور الملكية، وحرص السلاطين على الزواج من أجنبيات تدخلن في سياسة الدولة حسب ما يخدم بلادهن الأصلية إلى بداية ضعف الحضارة الإسلامية.
- ارتفع المستوى الاقتصادي في الدولة الإسلامية من دخل خراج الأرضي الكثيرة التي فتحها المسلمون الأوائل، ما أدى إلى زيادة النزعة المادية للسكان والإقبال على الدنيا وزخرفها، وقلة المواطنين المستعدين للتضحيات في سبيل وحدة البلاد أو الدفاع عنها وما يتطلبه من جهاد في سبيل الله قد يفضي إلى الشهادة.
- افتقدت الحضارة الغربية (الأوروبية والأمريكية) مقومات النظام الإسلامي في تصريف الأموال وإنفاقها، وارتكزت على النزعة المادية البحتة، ما أدى إلى فشلها وعجزها عن مواجهة التغيرات والتقلبات الاقتصادية والمالية المعاصرة.

النتائج الاجتماعية

- أسهم الولاء للسلطة الحاكمة في ظل بطء ظاهرة الحراك الاجتماعي، والحاجة إلى وجود حاكم يجتمع الناس تحت قيادته، والتمسك بالعادات التقاليد الموروثة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي الذي يتمخض عنه قيام الحضارة.
- أدى اختلال التوازن الطبقي نتيجة القضاء على الطبقة المتوسطة وانعدام دورها وفاعليتها اجتماعيًّا وسياسيًّا ودينيًّا، وتدهور أحوال الطبقة الدنيا في

ظل استمتاع النبلاء بحياة البذخ والترف أو الحضارة المفسدة للعمران؛ أدى كل ذلك إلى جلب مقومات سقوط الحضارة.

- امتازت الحضارة الإسلامية من بقية الحضارات في أن الولاء كان للدين الإسلامي، أي للدعوة الإسلامية ومبادئها ومرتكزاتها وثوابتها، وهو ما جعل البدو يسقطون حضارتي روما وفارس، ويستولون على تراثهما.
- أدى إلغاء الفوارق بين الطبقات (أحد أهم أهداف الدولة الإسلامية) والتشجيع على تحرير العبيد إلى القضاء على ظاهرة الحراك الاجتماعي، وأسهم -إلى حد كبير- في انتشار الحضارة الإسلامية وازدهارها بصورة غير مسبوقة عن بقية الحضارات.
- أدى اتحاد العصبية البدوية مع العصبية الدينية إلى قوة عصبية الحضارة الإسلامية، ومساعدتها على القضاء على إمبراطورية الروم وإمبراطورية الفرس.
- تمثلت العصبية التي ارتكزت عليها الحضارة الغربية (الأوروبية والأمريكية) في زيادة النزعة الاستعمارية، وخداع الشعوب الأوروبية وتضليلها عن طريق هدف وهمي معلن هو نصرة النصرانية، وهدف أساسي خفي هو تصريف منتجات الثورة الصناعية.
- أسهمت الثورة الصناعية في تغيير الولاء إلى ولاء مادي بحت، وأصبح العاملون في المصانع والمناجم يعملون مثل الآلات التي تشحن بالحوافز المادية للحصول على أكبر كم من الإنتاج.
- لا ترتكز الحضارة الغربية (الأوروبية والأمريكية) على عصبية، ولكن ترتكز على استخدام القوة لتحقيق مصالحها الاقتصادية.
- أشاعت سياسة التفرقة في المعاملة بين المجتمعات روح البغضاء، وجعلت بعض أبناء الدولة الإسلامية لا يأبهون بانهيارها، بل يتعاونون مع الأعداء ضدها، فقد أسفر انحياز الأمويين للعرب وتقديمهم على الموالي في الرزق

والجاه، وانحياز بعضهم الآخر للموالي، وانحياز العباسيين للأتراك والأرمن وتعيينهم قادة للجيش والجند، واستمرار التكوين القبلي في صفوف الجيش إلى إثارة النعرات والاختلاف والتنازع الذي قاد لانهيار الحضارة الإسلامية.

- أدى ظهور النقابات العمالية في أوروبا عام (١٩١٤م) إلى وقوع اضطرابات كبيرة ذات طابع ثوري في كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، نتيجة المطالبة بحقوق العمال وإثارة الإضرابات وسيلة ضغط لتنفيذ مطالب العمال ورفع أجورهم وتحسين مستويات معيشتهم.
- تمتلك الحضارة الإسلامية مقومات النهوض، وذلك لوجود ثوابت مرنة وقادرة على استيعاب المستجدات والتطورات تدعمها وتعززها من الكتاب والسنة، فضلًا عن ارتكازها على أساس الأخلاق الإسلامية التي تعزز القيم الروحية والأخلاقية.

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يتقدم الباحث بالمقترحات التالية:

المقترحات السياسية

- تفعيل أنظمة الشورى والمشاركة في أنظمة الحكم الإسلامية والعربية؛ لإيجاد التوازن المطلوب لزيادة الولاء والانتماء والمشاركة التضامنية في تحقيق أمن الوطن والمواطن.
- حث قيادات الدول العربية والإسلامية على تلمس مشكلات شعوبهم، والتواصل الفعال مع الرعية من دون حواجز أو عوائق تحد من معرفة هذه المشكلات وتسهم في تقليص الولاء والانتماء.
- اعتماد الوسطية منهجًا للدول الإسلامية بحيث تكون رسالة الخارج مطابقة لرسالة الداخل، مع ضرورة وجود هيئات ومؤسسات وآليات نافذة تعمل على تفعيله ونشره ومراقبته وحمايته معتنقيه.

obeikan.com

- التدرج في تحقيق التعاون بين الدول الإسلامية سواء في المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، تمهيدًا للتوحد في السياسات المتبعة في هذه المجالات كخطوة مبدئية لتحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة.
- العمل باستمرار على دعم البحث العلمي اللازم لتحقيق خطوات متسارعة في التنمية الحقيقية التي ترتكز على التطوير المستمر.
- إنشاء المراكز العلمية والمتخصصة في المجالات الإستراتيجية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لدراسة تفكير الغرب ومخططاته نحو الدول العربية والإسلامية، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع أي محاولة إضرار بالدول الإسلامية.
- تطبيق الشريعة الإسلامية في الدول العربية والإسلامية جميعها؛ لتجنب الثغرات التي تعج بها القوانين والأنظمة الوضعية والتي تسهم في تبديد الحقوق وإضعاف الولاء والانتماء ممن تعرضوا للظلم.
- وضع معايير ثابتة في التعامل مع الدول الإسلامية على أساس أخوة الدين والمعتقد، بعيدًا عن التعصب والتطرف الذي يقود إلى العنف والإرهاب الذي يتبرأ منه الإسلام والمسلمون.

المقترحات الاقتصادية

- فرض رقابة صارمة على المناصب العليا في الدول العربية والإسلامية جميعها، مع الحرص على الشفافية والمساءلة لتحديد أموال أي مسؤول وممتلكاته؛ قبل توليه المنصب وبعد خروجه منه، مع مصادرة الزيادة غير الطبيعية في أمواله وممتلكاته لصالح الدولة.
- إنشاء صندوق لتنمية موارد الدول الإسلامية، يخصص لمساعدة الدول الإسلامية الفقيرة على تحقيق التنمية والنهضة في المجالات كافة.

- إنشاء السوق الإسلامية المشتركة، وتعزيز التبادل التجاري بين الدول الإسلامية، لتحرير الاقتصاد الإسلامي من التبعية، وضمان دخل وعوائد للدول الإسلامية، وتعاملها مع القوى الكبرى مثل تكتل إقليمي موحد ذي ثقل سياسي واقتصادي واجتماعي.
- تجنب القادة والساسة المسلمين البذخ والترف.
- الاستفادة من ميزات النظام الاقتصادي الإسلامي وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق انطلاقة النشاط الاقتصادي وتعدده وسرعة نموه، وتنظيم الإنتاج، وإشباع الحاجات الخاصة والعامة، والمحافظة على البيئة دون التأثر بالأزمات الاقتصادية، مع تحقيق عدالة في توزيع الدخل والثروة، ودرجة عالية من الضمان الاجتماعي ومستوى معيشة مرتفع لكل مسلم.

المقترحات الاجتماعية

- إحداث تجانس بين المجتمعات الإسلامية عن طريق المنظمات المعنية، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورابطة العالم الإسلامي، وغيرها، لزيادة التقارب اللازم لترسيخ فكرة الوحدة الإسلامية.
- المحافظة على الطبقة الاجتماعية الوسطى وتعزيز وجودها، ومنحها كل ما يساعد على استمرارها كوسيلة ضمان لترسيخ الأمن والاستقرار في الدول الإسلامية.
- تعزيز تأثير القيم الروحية والدينية والأخلاقية التي تتسم بها الشريعة الإسلامية في دعم التكامل والتضامن والتكافل بين المجتمعات الإسلامية المعاصرة.
- اتخاذ الإجراءات التي تكفل بعث الحضارة الإسلامية من مرقدها؛ للاستفادة من أسسها ومبادئها الراسخة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية اللازمة لتحقيق النهضة الإسلامية.

obeikan.com